رسائل

الامام الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن
ابن أبى بكر السيوطى الشافعى

فى

تحقيق نجاة أبوى المصطفى صلى الله عليه وآبائه وسلم
وأنهم من أهل الجنة فى الآخرة

تحقيق
فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ
حسنين محمد مخلوف
مفتى الديار المصرية سابقا
وعضو جماعة كبار العلماء

مطبعة المدنى
٦٨ شارع العباسية - عمارة النجمة

الطبعة الثانية للرسائل الست
فى ربيع الثانى سنة ١٣٩٦ هـ (أبريل سنة ١٩٧٦ م)
بالقاهرة
على نفقة
محب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم
ولنشر العلم والنفع به
طامع فى المثوبة عليه
أثابه الله
م

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل رسله سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وأصحابه الهداة المهتدين (وبعد) فإن من أهم المباحث العلمية التى استفاض فيها القول واحتدم الجدال بين أساطين العلماء فى علوم الأصول والكلام والفقه مبحث نجاة أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة إلى الإيمان بالله ، ورسله لبعدالعهد واندراس الشرائع (ومن فروعه مبحث نجاة أبوى النبى صلى الله عليه وسلم اللذين ماتا فى فترة الجاهلية قبل البعثة النبوية) وللعلماء فيه مسالك وسبل وأنظار ، استنادا إلى أحاديث وآثار وأخبار .

وقد عنى بتحقيقه وإماطة اللثام عن مشكلاته وتذليل ما استعصى من معضلاته والترجيح أو الجمع بين رواياته الإمام الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله أعظم عناية فألف فيه عدة رسائل قيمة جامعة ، مؤيدة بأدلة ساطعة مثبتة لنجاتهما وأنهما من أهل الجنة فى الآخرة بل نجاة آبائه الذين ماتوا ولم تبلغهم الدعوة فى فترة الجاهلية ، فجزاه الله عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم خير الجزاء .

وهذه الرسائل هى :

١ — مسالك الحنفا فى أبوى المصطفى .

٢ — التعظيم والمنة فى أن أبوى الرسول فى الجنة .

٣ ـــ الدرج المنيفة في الآباء الشريفة .
٤ ـــ نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين .
٥ ـــ المقامة السندسية في النسبة المصطفوية .
٦ ـــ السبل الجلية في الآباء العلية .

ولم يذكر المؤلف تاريخ تأليف كل رسالة من هذه الرسائل حتى يعلم بالضبط السابق واللاحق منها في التأليف غير أنه نص في مفتتح رسالة «الدرج المنيفة» على أنها الثالثة وأفاد في آخرها أن المؤلف الرابع هو رسالة «نشر العلمين» والخامس هو رسالة «المقامة السندسية» كما نص في «السبل الجلية» على أنها السادسة ولذلك وضعناها بهذا الترتيب .

* * *

وقد طبعت هذه الرسائل في الهند ومعها رسالتان أخريان للمؤلف بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن سنة ١٣١٦ هـ ثم في سنة ١٣٣٤هـ. غير أن في الطبعتين تحريفا كثيراً وخطأ فاحشا يكاد يخل بالاستفادة من هذه الرسائل .

ولما قصد بعض أصدقائنا الثقاة المحبين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الحريصين على نشر العلم وإفادة طلابه بمكة المكرمة حسبة لله تعالى وطمعا في مثوبته طبع هذه الرسائل القيمة التي قام فيها مؤلفها الحافظ السيوطي ـ وناهيك به علما وتحقيقا ، وبحثا وتدقيقا ـ مقام صدق . في إثبات نجاة أبوي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنهما من أهل الجنة في الآخرة ـ رغب إلينا جزاه الله خيرا أن نسهم معه في هذا الخير العظيم بالإشراف العلمي على طبعها بمصر فلم نر بُدا من الاستجابة له طمعا في المثوبة من الله تعالى ، وأخذنا في مراجعتها ، وبذلنا الجهد في تصحيحها ووضع تراجم لمباحثها ، وفهرس لها ، وعلقنا

عليها ما تمس الحاجة إليه رجاء النفع بها ، واكتفينا بإثبات الصحيح والصواب في الأصل دون الإشارة في الهامش إلى ما كان فيه من التحريف والخطأ في الطبعتين الهنديتين .

كما اكتفينا بطبع الرسائل الخمس عن طبع رسالة «المقامة السندسية» وذيلناها برسالة «إنباه الأذكياء في حياة الأنبياء عليهم السلام» للمؤلف رحمه الله سائلين الله تعالى أن ينفع بها المسلمين ويجزل المثوبة عليها للعاملين إنه سميع مجيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

غرة رمضان سنة ١٣٨٤ هـ
٣ يناير سنة ١٩٦٥ م
} بالقاهرة

كتبه
حسنين محمد مخلوف
مفتي الديار المصرية السابق
وعضو جماعة كبار العلماء

ترجمة الحافظ السيوطى

هو الشيخ الإمام الحجة مجدد المائة التاسعة الحافظ أبو الفضل جلال الدين ابن عبد الرحمن بن الشيخ الإمام كمال الدين أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى الشافعى .

ولد بالقاهرة بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ونشأ يتيما وأتم حفظ القرآن قبل تمام الثامنة من عمره وأخذ فى الاشتغال بالعلم ثم أجيز بالتدريس فى العلوم العربية فى مستهل سنة ست وستين وفيها ابتدأ فى التأليف فألف شرح « الاستعاذة والبسملة » وعرضه على شيخه شيخ الإسلام علم الدين البلقينى فقرظه ولازم شيخه إلى وفاته .

كما لازم فى علمى الحديث والعربية شيخه الإمام تقى الدين الشبلى الحنفى وعرض عليه شرحه لألفية ابن مالك وكتابه جمع الجوامع فى العربية فقرظهما وشهد له بالتقدم فى العلوم واستمر ملازما له إلى وفاته .

ولازم شيخه العلامة محيى الدين الكافيجى أربع عشرة سنة وأخذ عنه علوم التفسير والأصول والعربية والمعانى وغيرها وأجازه .

ورحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ، للاستفادة والإفادة سنّة العلماء الراسخين والحفاظ من المحدّثين ، ولما حج شرب من ماء زمزم بنية أن يصل فى الفقه إلى رتبة شيخه الإمام البلقينى ، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر .

وقال فى كتابه «حسن المحاضرة » إنه رزق التبحر فى التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع .

ثم تحدث بنعمة الله عليه فقال « ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ونقوضها وأجوبتها لقدرت على ذلك من فضل الله تعالى لا بحولى وقوتى » .

وقال « إنه قد توافرت لديه وسائل الاجتهاد » اهـ .

* * *

وفى الأعلام للعلامة الزركلى : أن الحافظ السيوطى لما بلغ الأربعين اعتزل الناس واعتكف بداره فى روضة المقياس على النيل بالقاهرة فألف أكثر مؤلفاته التى بلغت نحو ٦٠٠ مؤلف ما بين كتاب كبير ورسالة صغيرة .

وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها ، وطلبه السلطان مراراً فلم يجبه وبعث إليه هدايا فردها وبقى على ذلك حتى توفى سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) رحمه الله .

* * *

وذكر من مؤلفاته رسالة « مسالك الحنفا » و « المقامة السندسية » ورسالة « إنباه الأذكياء فى حياة الأنبياء » اهـ . نفع الله تعالى بها المسلمين .

عبد الحميد محمد خلوف

مسالك الحنفا - في والدي المصطفى

صلى الله عليه وآله وسلم

للامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن
ابن أبي بكر السيوطي الشافعي
المتوفى سنة ٩١١ هـ
رحمه الله

بتحقيق
فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ
حسنين محمد مخلوف
مفتي الديار المصرية السابق
وعضو جماعة كبار العلماء

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى (هذا) تأليف يسمى (مسالك الحنفا فى والدى المصطفى) فى مسألة الحكم فى أبوى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأنهما ناجيان وليسا فى النار ، صرح بذلك جمع من العلماء ، ولهم فى تقرير ذلك مسالك .

المسلك الأول

أنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ، وأنه لا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام ، وأنه إذا قُتل يُضمن بالدية والكفارة نص عليه الإمام الشافعى رضى الله عنه وسائر الأصحاب ، بل زاد بعض الأصحاب وقال إنه يجب فى قتله القصاص ولكن الصحيح خلافه لأنه ليس بمسلم حقيقى وشرط القصاص المكافأة .

وقد علل بعض الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة ولم يقع منه عناد ولا جاءه رسول فكذّبه .

وهذا المسلك أول ما سمعته فى هذا المقام الذى نحن فيه من شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوى[1] فإنه سئل عن والد النبى صلى الله عليه وآله وسلم

(١) هو قاضى القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد المناوى الشافعى أصله من منية بن خصيب بصعيد مصر ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بالقاهرة ولازم الشيخ ولى الدين العراقى وتخرج به فى الفقه والأصول وسمع الحديث عليه وعلى الشرف بن الكويك . وتصدى للاقراء والافتاء وتخرج به الأعيان وولى تدريس فقه الشافعى وقضاء الديار المصرية وله تصانيف منها شرح مختصر المزنى ، وتوفى ليلة الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وثمانمائة رحمه الله .

هل هو فى النار فزجر السائل زجرة شديدة فقال له السائل هل ثبت إسلامه فقال إنه مات فى الفترة ولا نعذيب قبل البعثة ونقله سبط ابن الجوزى[١] فى كتاب « مرآة الزمان » عن جماعة فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ما نصه : وقال قوم قد قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) والدعوة لم تبلغ أباه ولا أمه فما ذنبهما ؟ ؟

وجزم به الأبى[٢] فى « شرح مسلم » وسأذكر عبارته .

وقد ورد فى أهل الفترة أحاديث أنهم يمتحنون يوم القيامة ، وآيات مشيرة إلى عدم تعذيبهم وإلى ذلك مال حافظ العصر شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر[٣] فى بعض كتبه فقال : والظن بآبائه صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له صلى الله عليه وآله وسلم لتقرّ بهم عينه ـ وقد جعلت قضية الامتحان داخلة فى هذا المسلك مع أن الظاهر أنها مسلك مستقل لكن وجدت ذلك لمعنى دقيق لا يخفى على ذوى التحقيق .

ذكر الآيات المشيرة إلى ذلك[٤]

﴿ الآية الأولى ﴾ قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وهذه[٥]

---

(١) هو أبو المظفر شمس الدين يوسف ابن قزأوغلى المعروف بسبط أبى الفرج الجوزى المؤرخ الكاتب الواعظ ولد ونشأ ببغداد وتوفى بدمشق سنة أربع وخمسين وستمائة هـ وله عدة مؤلفات منها مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان .

(٢) هو الشيخ المحدث العلامة أبو عبد الله محمد بن خلفه بن عمر الأبى الوشتانى المالكى التونسى من مدينة « أبه » بضم الهمزة وتشديد الباء الموحدة من قرى تونس ولى قضاء الجزيرة وتوفى سنة ٨٢٧ هـ وله شرح على المدونة .

(٣) هو الحافظ الإمام قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد العسقلانى ثم المصرى الشافعى المشهور بابن حجر المتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ صاحب فتح البارى شرح صحيح البخارى وغيره من التصانيف العظام .

(٤) أى إلى أنه لا تعذيب قبل البعثة . (٥) آية ١٥ الإسراء

الآية هى التى أطبقت أئمة السنة على الاستدلال بها على أنه لا تعذيب قبل البعثة وردوا بها على المعتزلة ومن وافقهم فى تحكيم العقل .

أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيريهما عن قتادة فى قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) قال : إن الله ليس بمعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبر أو تأتيه من الله بينة .

(الآية الثانية) قوله تعالى (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) أورد هذه الآية الزركشى[١] فى « شرح جمع الجوامع » استدلالا على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلا بل بالسمع .

(الآية الثالثة) قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)[٢] أورد هذه الآية الزركشى أيضاً . وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الهالك فى الفترة يقول : رب لم يأتنى كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) .

(الآية الرابعة) قوله تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عند هذه الآية عن عطية العوفى[٣] قال الهالك فى الفترة

---

(١) هو العلامة الشيخ بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى الشافعى تركى الأصل مصرى المولد والوفاة توفى سنة أربع وتسعين وسبعمائة . والآية ١٣١ الأنعام .

(٢) آية ٤٧ القصص .

(٣) هو أبو الحسن عطية بن سعد بن جناده العوفى الجدلى القيسى الكوفى صدوق يخطىء كثيرا كان من شيعة الكوفة ومات بها سنة ١١١ هـ (تقريب التهذيب لابن حجر) .

وفى الأعلام إنه خرج مع ابن الأشعث فأمر الحجاج بضربه أربعمائة سوط وحلق رأسه ولحيته إذا امتنع من سب على كرم الله وجهه فامتنع وفعل به ذلك ثم لجأ إلى فارس واستقر بخراسان وعاد إلى الكوفة بعد الحجاج فى عهد عمر بن هبيرة وتوفى بها .

يقول رب لم يأتنى كتاب ولا رسول وقرأ هذه الآية (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) إلى آخر الآية .

﴿ الآية الخامسة ﴾ قوله تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا)[١] أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس وقتادة فى الآية وإلا لم يهلك الله تعالى أهل مكة حتى يبعث إليهم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فلما كذبوا وظلموا فبذلك هلكوا[٢] .

﴿ الآية السادسة ﴾ قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين)[٣] .

﴿ الآية السابعة ﴾ قوله تعالى (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين)[٤] أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم فى تفاسيرهم عن قتادة فى الآية قال ما أهلك الله من قرية إلا من بعد الحجة والبينة والعذر حتى يرسل وينزل الكتب تذكرة لهم وموعظة وحجة لله « ذكرى وما كنا ظالمين » يقول ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البينة والحجة.

﴿ الآية الثامنة ﴾ قوله تعالى (وهم يصطرخون[٥] فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير)[٦] . قال المفسرون احتج عليهم ببعثة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو المراد بالنذير فى الآية .

---

(١) آية ٥٩ القصص
(٢) فى هذه العبارة ركة لا تخفى .
(٣) آية ١٥٥ ، ١٥٦ الأنعام
(٤) آية ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، الشعراء
(٥) يستغيثون
(٦) آية ٣٧ فاطر

ذكر الأحاديث

الواردة فى أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع منهم أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار .

﴿ الحديث الأول ﴾ أخرج الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه[١] فى مسنديهما والبيهقى فى « كتاب الاعتقاد » وصححه عن الأسود بن سريع أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « أربعة يحتجُّون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرِم ، ورجل مات فى فترة . أما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً . وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونى بالبعر . وأما الهرِم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً * وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول ، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنَّه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ، ومن لم يدخلها يُستجرُّ إليها » .

﴿ الحديث الثانى ﴾ أخرج أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه فى مسنديهما وابن مَردُويه[٢] فى تفسيره والبيهقى[٣] فى « الاعتقاد » عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال أربعة يحتجون فذكر مثل حديث الأسود بن سريع .

---

(١) هو الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمى أبو يعقوب الحنظلى ساكن نيسابور أحد الأئمة الأعلام اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع روى عنه الأئمة الستة إلا ابن ماجه وقال أحمد هو أمير المؤمنين فى الحديث . أملى مسنده وتفسيره من حفظه وتوفى فى نيسابور ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨ هـ .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهانى كان بصيرا بالرجال طويل الباع صنف التاريخ والتفسير والمسند والمستخرج على البخارى وتوفى لست بقين من رمضان سنة ٤١٠ هـ .

(٣) هو الإمام الحافظ أحمد بن الحسين النيسابورى المشهور بالفصاحة والبراعة له من المصنفات نحو ألف مصنف وأفتى بجميع نصوص الشافعى وخرج أحاديثها وتوفى سنة ٤٥٨ هـ

(الحديث الثالث) أخرج البزار فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يؤتى بالهالك فى الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك فى الفترة لم يأتنى كتاب ولا رسول ، ويقول المعتوه أى رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ، ويقول المولود لم أدرك العمل قال فترفع لهم نار فيقال لهم رِدُوها أو قال ادخلوها فيدخلها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل فيقول تبارك وتعالى إياى عصيتم وكيف برسلى بالغيب » .

فى إسناده عطية العوفى فيه ضعف ، والترمذى يحسن حديثه. وهذا الحديث له شواهد تقتضى الحكم بحسنه وثبوته .

(الحديث الرابع) أخرج البزار وأبو يعلى[1] فى مسنديهما عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات فى الفترة وبالشيخ الفانى كلهم يتكلم بحجته فيقول الله تبارك وتعالى لِعُنُق من جهنم[2] أبرز ويقول لهم إنى كنت أبعث إلى عبادى رسلا من أنفسهم وإنى رسول نفسى إليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أندخلها ومنها كنا نفر ؟ ومن كتب له السعادة يمضى فيقتحم فيها مسرعاً فيقول الله : قد عصيتمونى فأنتم لرسلى أشد تكذيبا فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار .

(الحديث الخامس) أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل

---

(١) أبو يعلى هو الإمام الحافظ الثبت محدث الجزيرة أحمد بن على بن المثنى التميمى الموصلى صاحب المسند الكبير كان ذا صدق وأمانة وعلم وحلم ووثقه ابن حبان والحاكم وتوفى سنة ٣٠٧ هـ .

(٢) أى قطعة منها .

الفترة والمعتوه والاصم والأبكم والشيوخَ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم يأتنا رسل قال وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاماً ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قال أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) إسناده صحيح على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قِبل الرأى فله حكم الرفع .

﴿ الحديث السادس ﴾ أخرج البزار والحاكم[1] فى « مستدركه » عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتكم إن أمرتكم بأمر أتطيعونى فيقولون نعم فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظا وزفيراً فيرجعون[2] إلى ربهم فيقولون ربنا أجرنا منها فيقول لهم ألم تزعموا أنى إن أمرتكم بأمر تطيعونى فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول اعمدوا إليها فادخلوا فينطلقون حتى إذا رأوها فرَقوا ورجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها داخرين[3] فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً . قال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومسلم .

﴿ الحديث السابع ﴾ أخرج الطبرانى وأبو نعيم عن معاذ بن جبل عن

---

(١) هو الامام الحافظ الكبير محمد بن عبد الله الضبى النيسابورى الثقة الثبت المجمع على صدقه ومعرفته بالحديث حق المعرفة سمع بنيسانور من نحو ألف شيخ وفي غيرها أكثر وتوفى بنيسابور سنة ٤٠٥ هـ وله من التصانيف أكثر من خمسمائة مصنف .

(٢) فى الأصل « فرجعوا » والمناسب ما أثبتناه .

(٣) صاغرين ذليلين .

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يُؤْتى يوم القيامة بالممسوح عقلا ، وبالهالك في الفترة ، وبالهالك صغيراً فيقول الممسوح عقلا يارب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيته عقلا بأسعد بعقله[1] مني . وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب إني آمركم بأمر أفتطيعوني فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولو دخلوها ماضرتهم فتخرج عليهم فرائص[2] فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعاً ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي تصيرون ضُمَّيهم فتأخذهم .

(قال) الكيا الهراسي[3] في تعليقه في الأصول في مسألة « شكر المنعم » : اعلم أن الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لامَدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ولا يتلقى من قضيات العقول . فأما من عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام مقسمة . فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول . ومنها ما يتلقى من قضيات العقول . قال : وأما نحن فنقول لا يجب شيء قبل مجيء الرسول فإذا ظهر وأقام المعجزة يمكن العاقل من النظر فنقول لا يعلم أول الواجبات إلا بالسمع فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر . وعند هذا يسأل المستطرفون فيقولون ما الواجب الذي هو طاعة ولبس بقربة .

---

(١) في الأصل لعقله وما أثبتناه أولى .
(٢) أي قطع .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب عماد الدين الطبري الفقيه الشافعي المفسر ولد في طبرستان وسكن بغداد واتهم بمذهب الباطنية فرجم وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر وشهد له وله كتاب أحكام القرآن وتوفي سنة ٥٠٤ هـ .

(وجوابه) أن النظر الذى هو أول الواجبات طاعة وليس بقربة لأنه ينظر للمعرفة فهو مطيع وليس بمتقرب لأنه إنما يتقرب إلى من يعرفه .

قال وذكر شيخنا الإمام فى هذا المقام شيئاً حسناً فقال قبل مجىء الرسول تتعارض الخواطر والطرق إذ ما من خاطر يعرض له إلا ويمكن أن يقدر أن يخطر له خاطر آخر على نقيضه فتتعارض الخواطر ويقع العقل فى حيرة ودهشة فيجب التوقف إلى أن تنكشف الغمة وليس ذلك إلا بمجيء[١] الرسول. وهاهنا قال الأستاذ أبو إسحاق إن قول « لاأدرى نصف العلم » معناه أنه انتهى علمى إلى حد وقف عنده مجارى العقل[٢] وهذا إنما يقوله من وقف فى العلم وعرف مجارى العقل مما لايجرى فيه ووقف عنده . انتهى .

وقال الإمام فخر الدين الرازى « فى المحصول » شكر المنعم لايجب عقلا خلافا للمعتزلة (لنا) أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه ، ولاتعذيب قبل البعث فلاوجوب . أما الملازمة فبيِّنة وأما أنه لاتعذيب فلقوله سبحانه وتعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) نفى[٣] التعذيب إلى غاية البعثة فينتفى وإلا وقع الخلف فى قول الله وهو محال. انتهى .

وذكر أتباعه مثل ذلك كصاحب الحاصل والتحصيل ، والبيضاوى فى « منهاجه ». وقال القاضى تاج الدين السبكى فى « شرح مختصر ابن الحاجب » على مسألة شكر المنعم : فيخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة فعندنا يموت ناجيا ولايقاتَل حتى يدعى إلى الإسلام وهو مضمون بالكفارة والدية ولايجب

---

(١) فى الأصل لمجبى والمناسب ما أثبتناه .

(٢) فى الأصل مجلوزة العقل والصحيح ما أثبتناه .

(٣) فى الأصل بقى التعذيب إلى غاية البعثة فينبغى وإلا وقع الخلف الخ . وما أثبتناه هو الصحيح .

القصاص على قتله على الصحيح . وقال البغوى فى « التهذيب » أما من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن يدعى إلى الاسلام فإن قتل قبل أن يدعى إلى الإسلام وجب فى قتله الدية والكفارة .

وعند أبى حنيفة رحمه الله لا يجب الضمان بقتله ، وأصله أنه عندهم محجوج عليه بعقله وعندنا هو غير محجوج عليه قبل بلوغ الدعوة إليه لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فثبت أنه لا حجة عليه قبل مجىء الرسول. انتهى .

وقال الرافعى فى « الشرح » من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام ولو قتل كان مضمونا خلافا لأبى حنيفة . وبنى الخلاف على أنه محجوج عليه بالعقل عنده وعندنا من لم تبلغه الدعوة لا ثابت عليه الحجة ولا تتوجه المؤاخذه قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) انتهى .

وقال الغزالى فى : « البسيط[1] » من لم تبلغه الدعوة يضمن بالدية والكفارة لا بالقصاص على الصحيح لأنه ليس مسلما على التحقيق وإنما هو فى معنى المسلم .

وقال ابن الرفعة فى « الكفاية » لأنه مولود على الفطرة ولم يظهر منه عناد .

وقال النووى[2] فى « شرح مسلم » فى مسألة أطفال المشركين : المذهب

---

(١) البسيط فى الفروع للامام حجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الشافعى المتوفى سنة خمس وخمسمائة هـ .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووى الشافعى المتوفى سنة ست وسبعين وستمائة هـ .

الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون أنهم فى الجنة لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال . وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى انتهى .

﴿ فإن قلت ﴾ هذا المسلك الذى قررته[1] هل هو عام فى أهل الجاهلية كلهم ﴿ قلت ﴾ لا بل هو خاص بمن لم تبلغه دعوة نبى أصلا أما من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ، ثم أصر على كفره فهو فى النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه .

* * *

بيان أن الأبوين الشريفين لم تبلغهما الدعوة

وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالها ماذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لمجموع أمور ، تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عيسى عليه السلام وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا نحو ستمائة سنة ، ثم إنهما كانا فى زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً وفقد من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها إلا نفر يسير من أحبار أهل الكتاب فُرِّقَت[2] فى أقطار الأرض كالشام وغيرها ، ولم يعهد تقلب لهما[3] فى الأسفار سوى المدينة ولا عمرا عمراً طويلا بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش فإن والد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يعش من العمر إلا قليلا .

---

(١) فى الأصل قدرته والصحيح قررته .
(٢) فى الأصل مزقت والمناسب فرقت .
(٣) أى لأبويه صلى الله عليه وسلم .